

التفسير العلمي ودوره في ترقية المعاني

تاريخ استلام المقال: 2015/05/07 تاريخ قبول المقال للنشر 2015/11/26

أ. باي بن زيد

جامعة تلمسان

الملخص.

انطوى القرآن الكريم في سبق معجز على العديد من الآيات التي أشارت إلى بعض الظواهر العلمية التي أبدعها الخالق سبحانه وتعالى، والسنن الإلهية التي تحكمها، وما يدفع ذلك كله إلى تفهم للحكم، واستخلاص للعبر، وزيادة إيمان العبد وتعلق قلبه بالفاطر.

إن الكون صنع الله الذي أنقن كل شيء، والقرآن كلام الله المعجز بألفاظه ومعانيه؛ ويستحيل أن يتعارض كلام الخالق مع النواميس والحقائق التي قد أودعها في خلقه، إذا اتبع الناظر في كليهما المنهج السليم، والمسلك الموضوعي الأمين. هذه الدراسة تبحث في بعض هذه الآيات القرآنية؛ مع بيان نظرة السلف والخلف لها بوجه يقضي إلى المقارنة.

وتكمن أهمية البحث في إبراز دور التفسير العلمي في زيادة توضيح معاني الآيات القرآنية بإضافة معان جديدة أخرى لها تتناسب ثقافة هذا العصر وأدوات علومه من جهة؛ والترجيح بين أقوال المفسرين الإجتهدية من جهة أخرى.

Résumé:

Cette étude disserte sur les versets coraniques qui indiquent les phénomènes universels en y exposant la vue des ascendants et les descendants dans des études comparatives.

L'importance de cette étude est de mettre le point sur le rôle de l'interprétation scientifique pour illustrer les significations d'ersets coraniques en y ajoutant des significations nouvelles correspondant à notre culture.

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد:

فإن أجل ما صرفت فيها الهمم، علم الكتاب المبين، لو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئاً يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه، فتنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته.

وقد تطور هذا الفن وبلغ ذروته شأنه شأن العلوم الأخرى فكان الابتداء بالاعتماد على المنقول حصراً وهو ما يعرف بالتفسير بالمأثور، ثم دعت الحاجة إلى إقامة البراهين والحجج العقلية في بيان مدلول الآية القرآنية، فظهر ما يعرف بالتفسير بالرأي.

ومن ألوان التفسير بالرأي والاجتهاد لون عرض إلى جملة من الحقائق العلمية الموجودة في التنزيل المبين اختلف فيها أهل العلم بين رافض للغوص فيها وبين داع للغور في أسرارها ومكنوناتها، إذ هي سبيل رسوخ الإيمان وزيادته من جهة وطريق الدعوة إلى الله من جهة أخرى.

إن الإشارات العلمية التي وردت في القرآن الكريم هي من قبيل بيان الحقائق والسنن الربانية، وقد صيغت صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى جديداً من المعاني المختزنة في كل آية من تلك الآيات الكونية. وباستمرار اتساع دائرة التراكمات المعرفية الإنسانية، جيلاً بعد جيل، وعصر بعد عصر يتأكد تحقق الوعد الإلهي: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ﴾**¹.

1- سورة: فصلت. آية 52.

لذا أحاول في هذه الدراسة الوقوف على جزئية من التفسير والمتعلقة بالإشارات العلمية في القرآن الكريم مع بيان نظرة السلف والخلف على وجه يفضي إلى توضيح دور التفسير العلمي في خدمة كتاب الله تبارك وتعالى.

أسباب اختيار الموضوع: لاختيار موضوعي أسباب منها:

✓ الحرية الواسعة في التعامل مع المعاني القرآنية دون ضوابط علمية في كتابات بعض المتأخرين غير المتخصصين.

✓ محاولة إيجاد دراسة علمية أكاديمية مركزة تبنى في تعاملها مع الآيات التي فيها إشارات علمية أصالة على لغة العرب، وما صح من تفسير عن السلف؛ دون إغفال للحقائق العلمية الثابتة.

أهمية البحث: تتجلى أهميته في:

✓ إن القرآن الكريم أنزل إلينا لفهمه ونتدبره والآيات الكونية فيه لا يمكن فهمها فهما صحيحا في إطار اللغة وحده، ذلك لشمول الدلالة القرآنية ولكلية المعرفة التي لا تتجزأ .

✓ إن الدعوة إلى الله عز وجل بالإعجاز العلمي هي الوسيلة المناسبة لعصر ذاع فيه العلم والتقنيات الحديثة.

✓ خدمة القرآن الكريم بما يناسب الأجيال المعاصرة، والوقوف على دقة استعمال الألفاظ في القرآن الكريم في الإشارة إلى الظواهر العلمية.

الإشكالية: يمكن صياغة إشكالية البحث فيما يلي:

✓ ما هو أثر الآليات الحديثة والمكتشفات العصرية في تفسير القرآن ؟

✓ هل يمكن للتفسير العلمي أن يسهم في إبراز معان جديدة تكشف عن مراد الله عز وجل ؟

✓ هل يمكن أن يرقى التفسير العلمي المؤسس على حقائق علمية إلى درجة الحجية في الترجيح بين أقوال المفسرين الاجتهادية ؟

الدراسات السابقة: وقفت على دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع، منها:

- رسالة ماجستير بعنوان: الكون والرؤية العلمية في القرآن الكريم والأديان السماوية الأخرى دراسة مقارنة، إعداد أشرف أحمد محمد عماشة، جامعة المنوفية كلية الآداب، بإشراف: الأستاذ الدكتور محمد عاطف العراقي.
- رسالة ماجستير بعنوان الإعجاز البياني للآيات الكونية في القرآن الكريم، إعداد خالد بن عميمور جامعة الأمير عبد القادر بإشراف: أ.د عمر بوقرورة.
- رسالة ماجستير بعنوان تطابق بعض الظواهر الجغرافية مع الآيات القرآنية في بعض سور القرآن، إعداد رشاد عبد الواحد سعيد الكامل. جامعة اليمن .
- منهج الدراسة: اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي معملاً أداة: المقارنة: لطبيعة الموضوع بين القدامى والمحدثين، والوقوف على ما أمكن استنباطه من نتائج.

خطة الدراسة: اقتضت الدراسة أن يكون البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما **المبحث الأول** فخصصته للجانب النظري، ويبحث في التفسير العلمي وتباين آراء العلماء فيه؛ ويتضمن أربعة مطالب.

تناولت في الأول: المدلولات اللغوية والاصطلاحية للتفسير العلمي وأما **المطلب الثاني**؛ فتعرضت فيه إلى مذهب الرافضين للتفسير العلمي وأدلتهم؛ وعرجت في الثالث على مذهب المؤيدين للتفسير العلمي وأدلتهم؛ ثم ختمت **المبحث** بمطلب رابع يتناول الترجيح بين المذهبين.

المبحث الثاني: جاء لبيان دور التفسير العلمي في إضافة معان جديدة لبعض الآيات التي فيها إشارات علمية؛ ويحوي مطلبين.

جاء الأول لبيان أن التفسير العلمي قد يضيف قولاً جديداً في تفسير آية، ولا يخالف به أقوال المفسرين القدامى والمحدثين.

وسيق الثاني لبيان أن التفسير العلمي قد يضيف قولاً جديداً يعضد بعض أقوال المفسرين التي ذكرت في المعنى المراد بالآية ويبطل الأقوال الأخرى. ورد المبحث الثالث لبيان دور التفسير العلمي في الترجيح بين أقوال المفسرين؛ ويتضمن مطلبين.

المطلب الأول: عنوانه التفسير العلمي يعضد قولاً مرجوحاً عند المفسرين القدامى ويرجحه.

وسيق المطلب الثاني لبيان أن التفسير العلمي يضيف قولاً جديداً يرجح بعض أقوال المفسرين التي ذكرت في المعنى المراد بالآية؛ ويبطل الأقوال الأخرى. المبحث الرابع: جاء لبيان دور التفسير العلمي في توسيع مفهوم الآية الواحدة التي فيها إشارات علمية؛ ويحوي مطلبين.

تناولت في الأول: مسألة نقصان الأرض من أطرافها.

وأما المطلب الثاني: فتعرضت فيه إلى مسألة شكل الجبال ووظيفتها. وخاتمة لأهم النتائج وآفاق البحث.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول : التفسير العلمي وتباين آراء العلماء فيه.

اختلفت آراء العلماء والباحثين في هذا النوع من التفسير وتباينت مواقفهم منه بين معارض على وجه الإطلاق من جهة، أو معارض بقيود من جهة أخرى، وبين مؤيد مسرف موسع من جهة ومؤيد معتدل من جهة أخرى، فما المراد به، وما هي أسباب قبوله أو رفضه.

المطلب الأول : المدلولات اللغوية والاصطلاحية للتفسير العلمي.

التفسير العلمي مركب وصفي لتحديد معناه يجب تحديد معنى جزأيه.

أولاً: التفسير لغة: فهو الكشف والإيضاح والبيان، ومنه قول الله تعالى: **جَوَلَا يَأْتُوكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ¹، أي بياناً وتفصيلاً وهو مأخوذ من الفسر: أي الإبانة والكشف.

جاء في معجم مقاييس اللغة "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان الشيء وإيضاحه".²

ثانياً: التفسير في الاصطلاح: تنوعت عبارات المعرفين لمصطلح التفسير بين مختصر فيها وموسع، ولعل أحسن التعاريف وأجمعها تعريف صاحب كتاب مناهل العرفان: "التفسير علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالاته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية"³

ثالثاً : العلم في اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة.

يقول ابن منظور (711هـ): والعلم: نقيض الجهل وعلمت الشيء أعلمه علماً عرفته".⁴

رابعاً: العلم عند أهل التدوين : هو مجموعة المسائل المنضبطة بجهة واحدة في موضوعها أو غايتها.⁵

بعد ذكر التعريفين السابقين للتفسير والعلم يعرف مفهوم: التفسير العلمي باعتباره مصطلحاً مركباً من الكلمتين معاً. **التعريف الاصطلاحي للتفسير العلمي:**

1 - سورة الفرقان - الآية: 33

2- ابن فارس- معجم مقاييس اللغة- ت : عبد السلام محمد هارون- دار الفكر للطباعة والنشر- (د.ط)- 1399هـ-1979م- ج : 4 - ص : 504.

3- عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان- ت : فواز أحمد زمرلي-بيروت- دار الكتاب العربي- ط.1- 1415هـ- 1995م- ج:2- ص:3.

4 - ابن منظور - لسان العرب- مادة(علم)- ج : 10- ص : 264.

5 - المصدر السابق- نفس الصفحة.

اختلفت وتتنوع تعاريف أهل العلم لمصطلح التفسير العلمي تبعا لموقف المعرف من هذا النوع من التفسير.

عرفه الشيخ أمين الخولي بقوله: "هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارة القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها".¹ ولا يبتعد تعريف الدكتور عبد المجيد المحتسب عن تعريف سابقه إذ يقول: "هو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها".²

أما الدكتور أحمد أبو حجر فعرفه بقوله: "هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبتته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه".³ وعرفه الدكتور عادل بن علي الشدي بقوله: "هو استخدام العلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها".⁴ ولكن الدكتور عند شرحه لتعريفه، أضاف قيذا آخر وهو كلمة (حقائق) معللا ذلك لتضييق دائرة التفسير العلمي.

ولعل هذا التعريف الأخير والله أعلم أقرب التعاريف إلى الصحة وأصوبها؛ غير أنه يلغى القيد الذي أضافه، للتمييز بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

المطلب الثاني: الرافضون للتفسير العلمي وأدلتهم.

ذهب بعض العلماء والباحثين إلى رفض التفسير العلمي ومنعه، واختلفت انتقاداتهم لهذا التوجه بين متشدد ومعتدل ولكن القاسم المشترك بينهم هو الرفض له وعدم

1 - أمين الخولي - التفسير نشأته ، تدرجه ، تطوره - بيروت - دار الكتاب اللبناني - ط.1 - (د.ت) - ص: 49.

2 عبد المجيد المحتسب - اتجاهات التفسير في العصر الراهن - الأردن - مكتبة النهضة الإسلامية - ط.3 - 1402 هـ - 1982 م - ص: 247.

3 - أحمد أبو حجر - التفسير العلمي في الميزان - ص: 72.

4 - عادل بن علي الشدي - التفسير العلمي للقرآن الكريم - الرياض - مدار الوطن للنشر - ط.1 - 1431 هـ -

2010 م - ص: 15

القبول به، وهذا الجمع المعارض فيه القدماء والمحدثون، ولهم براهينهم وأدلتهم التي يعتبرونها قاطعة في الدلالة على ما ذهبوا إليه.

وسأتناول نماذج لقدماء ومحدثين على سبيل المثال لا الحصر.

فمن أشهر القدماء من أهل العلم.الذين عارضوا هذا الفن: أبو حيان الأندلسي (ت-745هـ) و الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت-790هـ)، حيث يقول الأخير: " ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه أي (القرآن الكريم) على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة ، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، ونقول على الله ورسوله فيه ..."¹.

2- العلماء والباحثون من العصر الحديث. إن من حملوا لواء المعارضة من هذا العصر الحديث جمع لا يستهان به ومن هؤلاء الشيخ محمد شلتوت الذي عارض تفسير القرآن الكريم على مقتضى النظريات العلمية، في مقدمة تفسيره للأجزاء العشرة الأولى، ونجد في كتاب التفسير (نشأته -تدرجه- تطوره) ، معارضة صريحة لصاحبه أمين الخولي وإنكاره للتفسير العلمي²

وقد تابع هؤلاء في مناهم الشيخ محمد حسين الذهبي حيث قال بعد أن رجح رأي الشاطبي رحمه الله: " .. وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحوا بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم"³.

وانتقد محمد عزة دروزة تحويل القرآن من هدفه الوعظي الدعوي المقدس إلى الجدل والبحث العلمي التجريبي.

- أدلة المعارضين للتفسير العلمي.

1 - المصدر نفسه - نفس الصفحة.

2- ينظر: أمين الخولي -التفسير نشأته -تدرجه- تطوره - ص: 59.

3 -حسين الذهبي - التفسير والمفسرون - ج : 2 - ص: 362

أورد الرافضون للتفسير العلمي بعض الأدلة والبراهين الدافعة للزهد في هذا اللون من التفسير ولعل أهمها وأشهرها ما يلي:

1- عدم خوض السلف الصالح في مثل هذه الأمور وهم أعرف الناس بالقرآن ويعلمونه.

2- من أهم الشروط المطلوبة في المفسر لكتاب الله تعالى هو التمكن من لغة الضاد التي أنزل القرآن بها حتى لا يكون القرآن الكريم حمى مباحاً لكل من حصل علماً أو حفظاً شيئاً...

3- إن وظيفة القرآن واضحة المعالم تتمثل في هداية البشرية، وليس بكتاب تفصيل للعلوم والفنون المختلفة.

4- إن العلوم لا تعرف الثبات ولا القرار، فما يسلم به اليوم قد يكون خرافة غدا، ولا يخفى على ذي لب خطورة ربط القرآن بهذه العلوم المتغيرة.

المطلب الثالث: المؤيدون للتفسير العلمي وأدلتهم:

يزداد المؤيدون للتفسير العلمي تباعاً بتتابع السنين والأعوام، وتطور العلوم وتزايد المكتشفات العلمية الحديثة، ويمكن القول بأنهم أكثر عدداً من الرافضين لهذا اللون.

1- القدماء من أهل العلم.

الإمام الغزالي (505هـ) يشير الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين إلى إعمال الرأي في التفسير فيقول: "...بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم"¹.

وسار على خطاه بعض من أعلام هذه الأمة الإمام الفخر الرازي (606هـ)، البيضاوي (ت691هـ)، نظام الدين النيسابوري (ت728هـ)، جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ومحمود شكري الألوسي (ت1270هـ) في: روح المعاني.

1- أبو حامد محمد الغزالي - إحياء علوم الدين - ج: 1 - ص: 290.

ومن المعاصرين : الشيخ أحمد مصطفى المراغي، الشيخ محمد متولي شعراوي، محمد عبده ، السيد قطب، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، عبد الحميد بن باديس ومحمد أحمد الغمراوي الذي يُعد من أكثر الباحثين اعتدالاً وروية في هذا المضمار ووضح ذلك جلياً في كتابيه " في سنن الله الكونية " و"الإسلام وعصر العلم. أدلة المؤيدين للتفسير العلمي.

تعددت أدلة وأسباب الإقبال على التفسير العلمي للقرآن الكريم عند القائلين به من القدماء والمحدثين وأشهرها وأظهرها ما يلي:

1- الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات القرآنية. يقول الله تبارك وتعالى: **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**¹

رجح الإمام الرازي أن المراد بالكتاب هو القرآن دون اللوح المحفوظ، وفي هذا دلالة على أن القرآن الكريم يحوي كل شيء ، حتى العلوم.

2- الاستدلال بالأحاديث النبوية:

عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (**إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة و الخردلة والبعوضة**)²

في عموم الحديث إشارة إلى شمولية القرآن الكريم ، وفي هذه الشمولية يدخل الإخبار عن العلوم الحديثة.

ثالثاً - الاستدلال بالآثار:

¹ - سورة الأنعام - الآية :38.

2- أخرجه أبو الشيخ الأصفهاني في كتاب العظمة- ت : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري - الرياض - دار العاصمة - ط.1- 1408 هـ - ج :2- ص :534. وفي سنده أبو أمية بن يعلى ضعفه غير واحد. ينظر الذهبي- ميزان الاعتدال - ت: علي محمد عوض- دار الكتب العلمية - ط.1- 1416 هـ-1995م- ج :7- ص :67.

ذكر حسين الذهبي بعض الآثار التي استدل بها حاملوا لواء التفسير العلمي منها :

1- عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والآخرين)¹.

رابعاً - الاستدلال بالمعقول:

إن القرآن لم ينزل للعرب وحدهم، وإنما لكل العصور والأجيال، فلا بد أن يجد فيه أهل كل عصر أدلة على صدق الوحي والنبوة وإدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الترجيح بين آراء الفريقين.

بعد عرض أدلة الفريقين ومناقشتها فالذي تطمئن إليه النفس والله اعلم أن:

1- الذين رفضوا الاستفادة من حقائق العلم في إيضاح القرآن قد جانبوا الصواب إلى حد بعيد.

2- المتحمسون الذين جروا وراء الفرضيات والنظريات العلمية بصحتها وسقيمتها، بغتها وسميتها دون تمحيص وتدقيق، وأهملوا قواعد التفسير، كذلك جانبون للصواب إلى حد بعيد.

3- المذهب السليم مذهب الوسط فلا إفراط ولا تفريط؛ فلا نجف الاستعانة بحقائق العلم في زيادة توضيح المعاني القرآنية وبالمقابل لا تدفعنا الحماسة لنصرة الحق والدفاع عن دين الله لتبني نظريات وفرضيات علمية لا تزال تحت الاختبار والتمحيص ولي عنق الآيات وتحميلها ما لا تحتمله، والأخطر من ذلك أن ندعي أن هذا إعجاز قرآني.

4- لا بد من وضع ضوابط وقيود للتفسير العلمي وللقائلين به، سدا لذريعة دخول الأدعياء، والقول على الله بغير علم.

1- نقلا عن حسين الذهبي - التفسير والمفسرون - ج: 2 - ص: 351.

4- أهم ملاحظة يجب التركيز عليها وهي أنه يجب التفريق بين مصطلحي التفسير العلمي والإعجاز العلمي، إذ نجد التباسا واضحا عند البعض في التفريق بينهما؛ سواء كان ذلك من الذين يقولون برد التفسير العلمي أو ممن يحملون لواءه، هذا الالتباس والله أعلم أهم سبب في الخلاف بين أهل العلم في جواز الأخذ بالتفسير العلمي أو منعه.

5- المبحث الثاني: دور التفسير العلمي في إضافة معان جديدة لبعض الآيات القرآنية.

المطلب الأول: التفسير العلمي يضيف قولاً جديداً في تفسير آية، لا يخالف أقوال المفسرين

قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۖ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفْهِدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ¹ **چ**

تفسير الآية عند القدامى والمحدثين من أهل التفسير

1- تفسير الآيتين عند القدامى:

قال الشوكاني: "والمراد بما يدعونه من دون الله: الأصنام التي كانت حول الكعبة وغيرها. وقيل: المراد بهم السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله؛ لكونهم أهل الحل والعقد فيهم. وقيل: الشياطين الذين حملوهم على معصية الله، والأول أوفق بالمقام وأظهر في التمثيل".²

ثم قال رحمه الله: "الذباب معروف الواحد ذبابة، والمعنى: لن يقدرُوا على خلقه مع كونه صغير الجسم حقير الذات، وجملة ولو اجتمعوا له معطوفة على جملة أخرى شرطية محذوفة أي: لو لم يجتمعوا له لن يخلقوه ولو اجتمعوا له، والجواب محذوف، والتقدير لن يخلقوه وهما في محل نصب على الحال أي: لن يخلقوه على كل حال.

¹ - سورة الحج.

² - الشوكاني - فتح القدير - ص: 975.

ثم بين سبحانه كمال عجزهم وضعف قدرتهم فقال " ^١ : ^٢ وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفْقِدُوهُ مِنْهُ إِذَا أَخَذَ مِنْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى تَخْلِيصِهِ مِنْهُ لِكَمَالِ عِزِّهِمْ وَفِرَاطِ ضَعْفِهِمْ، وَالِاسْتِقْذَافِ وَالْإِنْقَافِ التَّخْلِصِ، وَإِذَا عَجَزُوا عَنْ خَلْقِ هَذَا الْحَيَوَانَ الضَّعِيفِ، وَعَنْ اسْتِقْذَافِ مَا أَخَذَهُ عَلَيْهِمْ فَهَمَّ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ جَرَمًا وَأَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً أَعْجَزَ وَأَضْعَفَ، ثُمَّ عَجِبَ سُبْحَانَهُ مِنْ ضَعْفِ الْأَصْنَامِ وَالذُّبَابِ، فَقَالَ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ فَالصَّنَمُ كَالطَّالِبِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَطْلُبُ خَلْقَ الذُّبَابِ أَوْ يَطْلُبُ اسْتِقْذَافَ مَا سَلَبَهُ مِنْهُ، وَالْمَطْلُوبُ الذُّبَابُ. وَقِيلَ: الطَّالِبُ عَابِدُ الصَّنَمِ، وَالْمَطْلُوبُ الصَّنَمُ. وَقِيلَ: الطَّالِبُ الذُّبَابُ وَالْمَطْلُوبُ الْإِلَهِة ^١.

2- تفسير الآيتين عند المحدثين:

يقول الطاهر بن عاشور: "شبهت الأصنام المتعددة المتفرقة في قبائل العرب وفي مكة بالخصوص بعظماء، أي عند عابديها. وشبهت هيئتها في العجز بهيئة ناس تعذر عليهم خلق أضعف المخلوقات، وهو الذباب، بله المخلوقات العظيمة كالسماوات والأرض. وقد دل إسناد نفي الخلق إليهم على تشبيههم بذوي الإرادة لأن نفي الخلق بمقتضى محاولة إيجاده، وذلك كقوله تعالى أموات غير أحياء كما تقدم في سورة النحل. ولو فرض أن الذباب سلبهم شيئاً لم يستطيعوا أخذه منه، ودليل ذلك مشاهدة عدم تحركهم، فكما عجزت عن إيجاد أضعف الخلق وعن دفع أضعف المخلوقات عنها فكيف توسم بالإلهية ².

3- حقائق علمية أثبتتها العلم الحديث.

اكتشف حديثاً أن الذباب مزود بغدد لعابية طويلة وغنية جداً باللعباب. وبمجرد أن يأخذ الذباب شيئاً من الطعام سرعان ما يفرز عليه كمية كبيرة من اللعباب الذي يحوله من فوره إلى مادة أخرى فإذا أخذ الذباب منا شيئاً أردنا أن

¹ - المصدر نفسه - الصفحة نفسها.

2 - الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج: 15 - ص: 345.

نسترد منه ذلك الشيء الذي سلبنا إياه فإننا لا نقدر؛ وعليه فالطعام المسلوب، ولو كان تافهاً لا قيمة له لا يمكن استنقاذه لأنه يتحول كيميائياً إلى مركب من نوع آخر قبل أن يدخل في جوف الذبابة.¹

4- خلاصة:

إن التفسير العلمي لهذه الظاهرة البيولوجية أضاف معنى جديداً للآية، وزاد في بيان وجوه إعجازها؛ وفي نفس الوقت لم يخالف هذا المعنى أقوال المفسرين في الآية بل زاد من تأكده.

المطلب الثاني: التفسير العلمي يضيف قولاً جديداً يعضد بعض أقوال المفسرين التي ذكرت في المعنى المراد بالآية ويبطل الأقوال الأخرى.

ومن أمثلة ذلك: مسألة المراد بالنجم الثاقب في سورة الطارق.

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾

1- تفسير الآية عند القدامى:

اختلف أهل العلم في تحديد النجم الثاقب إلى أقوال كثيرة:

فقالوا: أنه النجم الذي يتوقد ضياؤه ويتوهج؛ وهو مروي عن ابن عباس، وزاد بعضهم على كونه مضيء أنه محرق للشياطين، وهو مروي عن عكرمة. ويراد بالنجم الثاقب كذلك زحل، وهو أحد الكواكب، كما يراد به الثريا والجدي عند بعضهم؛ ويلاحظ على هؤلاء أنهم لا يفرقون بين النجم والكوكب. والعلم الحديث على خلاف ذلك.

أورد القرطبي (671هـ) رحمه الله أقوالاً مختلفة لأهل العلم لمعنى الثاقب فقال: "واختلف فيه فقل: هو زحل: الكوكب الذي في السماء السابعة ذكره محمد بن الحسن في تفسيره، وذكر له أخباراً، الله أعلم بصحتها. وقال ابن زيد: إنه الثريا،

1 - ينظر: محمد مختار عرفات - إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية - ص: 150.

وعنه أيضا أنه زحل وقاله الفراء عن ابن عباس: هو الجدي. وعنه أيضا وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -¹

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

اتفق المحدثون من أهل التفسير في بيان معنى الطارق والثاقب في الآية، غير أنهم اختلفوا في مفهوم النجم الثاقب؛ هل يراد به نجم محدد؟ أم يراد به جنس النجم؟

ذكر صاحب الظلال (1385هـ) رحمه الله: " أن هذا الوصف ينطبق علي جنس النجم، ولا سبيل إلى تحديد نجم بذاته من هذا النص، ولا ضرورة لهذا التحديد، بل إن الإطلاق أولى ليكون المعني: والسماء ونجومها الثاقبة للظلام، النافذة من هذا الحجاب الذي يستر الأشياء"².

وقال أسعد محمود حومد: "النجم الثاقب، الذي تتقب شدة ضوئه ولمعانه الظلام"⁽³⁾.

3- حقائق علمية أثبتتها العلم الحديث.

أثبت العلم الحديث الحقائق التالية:

وجود مصادر الإشعاع الراديوي المميز بالسماء الدنيا ومن أهمها النجوم النيوترونية شديدة التضاغط والمعروفة باسم النجوم النابضة أو النابضات أو النوايض، وهي نجوم ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير، ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلى ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة.⁴

1 - الجامع لأحكام القرآن - ج : 20 - ص: 03 .

2 - سيد قطب- في ظلال القرآن - ج : 06 - ص: 3877.

3 - أسعد محمود حومد - أيسر التفاسير - سوريا - دمشق - ط.4 - 1419هـ - 2009م - ج : 01 - ص: 1520

4 - ينظر: أحمد جاد- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية- مصر- القاهرة- دار الغد الجديد- ط.1 - 1430هـ - 2009م - ص: 46.

هذه النبضات حين ترجمتها صوتيا تشبه تماما طرق الرجل بالمطرقة لشيء ما، وفي هذا إشارة إلى معنى الطارق في الآية.¹

4- خلاصة:

بالنظر إلى خصائص هذه النجوم النيوترونية ، والتي من بينها الطرق والإضاءة الشديدة ومقارنتها بما ورد في أوائل سورة الطارق ، يمكن القول أنها المرادة بالنجم الثاقب ؛ ومنه يمكن رد قول بعض المحدثين من أهل التفسير والرامي إلى أن النجم الثاقب يراد به عموم النجوم ؛ كما يرد قول من ذكر أن النجم الثاقب يراد به بعض الكواكب.

بهذا تبين جليا أهمية التفسير العلمي للقرآن في إيضاح المعاني القرآنية بالمعارف والعلوم العصرية من جهة، وفي رد بعض الاجتهادات التفسيرية التي تخالف الحقائق العلمية من جهة أخرى.

1 - ينظر : أحمد جاد- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة النبوية- ص :47.

المبحث الثالث : دور التفسير العلمي في الترجيح بين أقوال المفسرين.

المطلب الأول : التفسير العلمي يضيف قولاً جديداً في تفسير آية، يعتبر الراجح بين أقوال المفسرين، والأولى بالصواب.

والمقصود به، أن تكون للآية الواحدة أكثر من دلالة تفسيرية عند العلماء من أهل التفسير-القدامى أو المحدثون- فيكشف العلم الحديث عن معنى جديد، لم يذكر عند السابقين وتحتمله الآية؛ ويكون أولى الأقوال بالصواب.

ومن أمثلة ذلك :مسألة : البرزخ بين البحرين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ

(20)فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾¹.

1- تفسير الآية عند القدامى:

اتفق أهل التفسير في معنى البرزخ، واختلفوا في المراد بالمرجان واللؤلؤ ومكان خروجهما تبعا لاختلافهم في المقصود بالبحرين.

أ- بيان المراد بالبرزخ والبحرين.

قال الطبري (310هـ): "يعني بقوله: (مرج): أرسل وخلي، من قولهم: مرج فلان

دابته: إذا خلاها وتركها. قال ابن عباس: مرج البحرين أرسل".²

ثم أورد بعد ذلك اختلاف أهل العلم في تأويل المراد بالبحرين قائلا: "واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله في هذه الآية، أي البحرين هما؟ فقال: بعضهم: هما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض.... وقال آخرون: عني بذلك بحر فارس وبحر الروم"³.

1 - سورة الرحمان- الآية :19-20-21-22..

2 - الطبري - جامع البيان- ج : 23 - ص: 30

3 - المصدر نفسه- الصفحة نفسها.

وأما في معنى قوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ فقال الإمام الطبري: "بينهما حاجز وبعد، لا يفسد أحدهما صاحبه فيبغى بذلك عليه، وكل شيء كان بين شيئين فهو برزخ عند العرب وما بين الدنيا والآخرة برزخ"¹.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

اتفق المحدثون من أهل العلم في بيان المراد بالبحرين والبرزخ بينهما بخلاف القدامى، قال صاحب الظلال (1385هـ): "... والبحران المشار إليهما هما البحر المالح والبحر العذب، ويشمل الأول البحار والمحيطات، ويشمل الثاني الأنهار، ومرج البحرين أرسلهما وتركهما يلتقيان، ولكنهما لا يبغيان، ولا يتجاوز كل منهما حده المقدر، ووظيفته المقسومة، وبينهما برزخ من طبيعتهما من صنع الله..."².

3- حقائق علمية أثبتتها العلم الحديث.

أثبت العلم الحديث الحقائق التالية:

أولاً: التحليل العلمي لظاهرة البرازخ يرجع إلى أن مياه كل بحر تغاير مياه البحار الأخرى في صفاتها الكيميائية من حيث درجة الحرارة والكثافة والملوحة ؛ بل أنها تختلف حتى في الكائنات الموجودة فيها مما يمنع اختلاط المياه والكائنات مع بعضها عند التقاء البحرين³.

ثانياً: المرجان: هو حيوان بحري لا يحيا إلا في الماء الملح، ويتبع طائفة الزهريات، وهي من طوائف قبيلة جوفيات المعى التي غالباً ما تعيش في مستعمرات.

1 - المصدر نفسه - ص: 31

2 - السيد قطب- في ظلال القرآن- ج : 06 - ص: 3453

³ - ينظر: أحمد محمود سليمان- القرآن والطب- لبنان- بيروت- دار العودة- (د.ط)- (د.ت)- ص: 41، وينظر: محمد الشعراوي- يسألونك في الدين والحياة- مصر- القاهرة- المكتبة التوفيقية- (د.ط)- (د.ت)- ج : 01 - ص : 219.

4- تحليل وترجيح:

بالمقارنة بين تفسير أهل العلم من القدامى والمحدثين من جهة وحقائق العلم الحديث من جهة أخرى يمكن استخلاص ما يلي:

- يمكن عدم التعويل على رأي من قال أن البحرين هما بحر الأرض والسماء.
 - يمكن عدم التعويل على رأي من قال أن البحرين هما الملح والعذب، بدلالة السياق المتأخر للسورة وهو قوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) فالمرجان موجود في البحار المالحة دون العذبة.
 - البحرين المراد بهما من خلال الآية والله أعلم أنهما ملحان؛ وهو قول جديد في المسألة لم يتعرض إليه المفسرون، يشهد له العلم الحديث والسياق القرآني.
- المطلب الثاني: التفسير العلمي يعضد قولاً مرجوحاً عند المفسرين القدامى ويرجحه.**

ومن أمثلة ذلك: مسألة البحر المسجور.

1- تفسير الآية عند القدامى:

قال الإمام الطبري رحمه الله ⁽¹⁾: " اختلف المفسرون قوله تعالى: ﴿ **وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** ٦ ﴾ على أقوال: قال مجاهد: معنى قوله تعالى والبحر المسجور الموقد وقد جاء في الخبر: أن البحر يسجر يوم القيامة فيكون ناراً وقال قتادة: المملوء وقال سعيد بن المسيب: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم قال البحر: قال ما أراك إلا صادقاً وتلا: ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** ٦ ﴾ ⁽²⁾ مخففة.

وعن ابن عباس المسجور الذي ذهب ماؤه وقيل المسجور المفجور دليله (وإذا البحار فجرت) ⁽³⁾.

¹ - ينظر جامع البيان 20-18/27

² - سورة التكويد - الآية: 6.

³ - سورة الإنفطار - الآية: 3.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير:

قال الطاهر بن عاشور: " المسجور " : قيل المملوء ، مشتقا من السجر وهو المملء والإمداد . فهو صفة كاشفة قصد منها التذكير بحال خلق الله إياه مملوءا ماء دون أن تملأه أودية أو سيول، أو هي للاحتراز عن إرادة الوادي إذ الوادي ينقص فلا يبقى على ملئه، وذلك دال على عظم القدرة . والظاهر عندي: أن وصفه بالمسجور للإيماء إلى الحال التي كان بها هلاك فرعون بعد أن فرق الله البحر لموسى وبني إسرائيل ثم أسجره، أي: أفاضه على فرعون وملئه" ¹.

3- حقائق علمية أثبتتها العلم الحديث.

قد تبين علمياً أنه عندما نزل علماء البحار إلى قيعان البحار والمحيطات وجدوا أن الحمم البركانية تندفع من صدوع الأرض بملايين الأطنان في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية وتلتقي النيران مع المياه في هذه القيعان بتوازن عجيب لا الماء يستطيع أن يطفئ هذه النيران ولا النيران تستطيع أن تبخر الماء. ⁽²⁾

4- تحليل وترجيح:

الملاحظ أن التفسير العلمي لهذه الآية رجح قولاً كان مرجوحاً عند جمهور المفسرين؛ وهنا تكمن أهميته من حيث كشف الغموض الذي اكتنف المعنى اللغوي لاتقاد البحر، ومما يجدر التنويه به أن الطبري رحمه الله ذكر هذا القول مروياً عن مجاهد رحمه الله؛ ولكن عدل عن هذا المعنى عند معظم المفسرين لأنهم فسروا الآية بمعارف عصرهم؛ ولهذا قال ابن عباس خير مفسر للقرآن الزمان.

1 - الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير - ج: 28 - ص: 40.

² - ينظر : مجلة الإعجاز العلمي العدد السادس (ندوة عن الإعجاز العلمي بالقاهرة بتاريخ 2000/2/5 م .

المبحث الرابع : دور التفسير العلمي في توسيع المعاني.

المطلب الأول : نقصان الأرض من أطرافها

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَكُفُّ لَكُمْ لَا تَعْجَبُوا¹ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ¹﴾.

1- تفسير الآية عند القدامى و المحدثين:

يمكن أن يميز في تفسير القدامى من أهل العلم رأيين بينين: الرأي الأول: توبيخ ونقريع للكافرين الذين يرون توسع رقعة أرض الإسلام على حساب أرض الكافرين، وانحسار أرضهم وتتاقصها بالفتوحات ثم لا يعتبرون ولا يتعظون.

الرأي الثاني: نقصان الأنفس والثمرات، ومنه ذهاب العلماء وخراب الأرض من بعدهم.

ذكر ابن كثير (774هـ) رحمه الله في تفسيره روايات عن الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: " ... قال ابن عباس: أولم يروا أنا نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم الأرض بعد الأرض، وقال في رواية: أولم يروا إلى القرية تخرب حتى يكون العمران في ناحية؛ وقال في رواية أخرى: خرابها بموت علمائها وأهل الخير منها²؛ وقال مجاهد: نقصان الأنفس والثمرات³."

2- التفسير العلمي المعاصر.

يرد لفظ الأرض في القرآن بمعان مختلفة، فتأتي بمعنى الكوكب ككل، كما تأتي بمعنى اليابسة التي نعيش عليها، وترد مقصودا بها التربة التي تغطي الصخور، ولانقاص الأرض من أطرافها في إطار كل مفهوم من تلك المفاهيم عدد من الدلالات العلمية يذكر منها ما يلي:

¹ - سورة الرعد- الآية: 42.

² - ينظر: ابن كثير الدمشقي- تفسير القرآن العظيم- ج: 02- ص: 658.

³ - ينظر: نفس المصدر - نفس الصفحة.

أ- دلالة لفظ الأرض على اليابسة التي نعيش عليها.

الصورتان العلميتان لإنقاص الأرض من أطرافها وفقاً لهذا المعنى.

1. طغيان مياه البحار والمحيطات على اليابسة وإنقاصها من أطرافها: وذلك بانصهار سمك هائل من الجليد الموجود فوق قطبي الأرض، مما يؤدي إلى رفع منسوب المياه في البحار والمحيطات فيغرق أغلب مساحات اليابسة ذات التضاريس المنبسطة حول البحار والمحيطات وهي صورة من صور إنقاص الأرض من أطرافها.¹

2. عوامل التعرية المختلفة من المرتفعات والقاء نواتج التعرية في المنخفضات من سطح الأرض حتى تتم تسوية سطحها، ويتم ذلك عن طريق المياه الجارية أو الرياح فمثلاً المياه الجارية تنحت في الصخور وقمم الجبال وتذيب أجزاء منها وتمر في الأنهار بلايين الأطنان سنوياً من قمم الجبال إلى البحار والمحيطات.²

ب- دلالة لفظ الأرض على التربة التي تغطي صخور اليابسة:

الصورة العلمية لإنقاص الأرض من أطرافها وفقاً لهذا المعنى.

التصحّر: زحف رمال الصحاري على مساحات كبيرة من الأرض الخضراء، وانحسار التربة الصالحة للزراعة.

ج- دلالة لفظة الأرض على الكوكب كاملاً:

يعتبر تقلطحها قليلاً عند القطبين، وانبعاجها قليلاً عند خط الاستواء أهم الصور العلمية لإنقاص الأرض من أطرافها وفقاً لهذا المعنى، وذلك بفعل القوة الطاردة (النابذة) المركزية الناشئة عن دوران الأرض حول محورها.

يقول الدكتور زغلول النجار: "يقدر متوسط قطر الأرض الاستوائي بنحو 12756.3 كم، ونصف قطرها القطبي بنحو 12713.6 كم وبذلك يصبح الفارق

¹ - ينظر: زغلول النجار - الأرض في القرآن - ص: 161.

² - ينظر: محمد السيد أرناؤوط - الإعجاز العلمي في القرآن - القاهرة - مكتبة مدبولي - (د.ط) -

1989م - ص: 201.

بين القطرين نحو 42.7 كم، ويمثل هذا التفلطح نحو 33% من نصف قطر الأرض، مما يدل على أنها عملية بطيئة جداً تقدر بنحو 1سم تقريباً كل ألف سنة، ولكنها عملية مستمرة منذ بدء خلق الأرض، وهي إحدى عمليات إنقاص الأرض من أطرافها¹.

إذن فإنقاص الأرض من أطرافها له أكثر من دلالة علمية عصرية حقيقية.

4 خلاصة:

اختلفت وجهات نظر المفسرين لهذه الآية باعتبارات أساسية يمكن إجمالها في:

1. باعتبار المخاطب: فمن رأى أن المخاطب في الآية قريشاً، حمل نقصان الأطراف في الآية على حدود مكة، ومن رأى أن الخطاب موجه للكافرين عموماً حملها على تقلص رقعة الكفر بالفتوحات الإسلامية، وهي سنة الله في خلقه في كل زمان ومكان.

2. باعتبار الحقيقة والمجاز: فمن حمل لفظ الأرض على المجاز مثل لذلك بنقص بركات الأرض وثمارها أو النقص في الأنفس، ومنهم من مثل لها بالتصحر كـ بعض الجيولوجيين.

أما من حمل لفظ الأرض على الحقيقة - وهم أهل العلم التجريبي الحديث - فسر "النقص" بنقصها من طرفي قطبيها أو غمر حافات القارات بالبحار والمحيطات أو تعرية قمم الجبال.

إن كل هذه الوجوه التي ذكرها أهل التفسير من القدامى والمحدثين وأهل الاختصاص من علماء الجيولوجيا والفلك احتملتها الآية القرآنية ومنحت كل عصر ومصر معانٍ تسائر زمانهم وما وصلت إليه علومهم وثقافتهم.

¹ - زغلول النجار - الأرض في القرآن - ص: 159.

إن الدلالات العلمية التي ذكرها علماء الجيولوجيا والفلك المسلمون لإنقاص الأرض من أطرافها، زادت من توسيع معاني الآية، وخدمت تفسير كتاب الله خدمة جليلة، أبرزت عظمة وإعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثاني : شكل الجبل ووظيفته قال الله تعالى: جَاءَ نَحْنُ بِالْأَرْضِ

مِهَادًا (6) وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا¹

1- تفسير الآية عند القدامى:

تتقارب آراء المفسرين في بيان المراد بمعنى الآية، وهو تشبيه الجبال بالأوتاد في وظيفتها. قال الإمام القرطبي : أي: "لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها"²؛ وقال ابن جزى (741هـ): "شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد"³.

2- تفسير الآية عند المحدثين من أهل التفسير.

فسر المحدثون الآية بمثل تفسير القدامى، مبرزين وجه الشبه بين الجبل والوتد، قال صاحب الظلال (1385هـ): "وجعل الجبال أوتادا.. يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد، فهي أشبه شيء بأوتاد الخيمة التي تشد إليها. أما حقيقتها فننتلقاها من القرآن، وندرك منه أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها"⁴.

3- التفسير العلمي المعاصر

ذكر العلماء الجيولوجيون حقائق علمية حول الجبال زادت من إيضاح معنى الآية وفق معارف وعلوم العصر؛ يقول الدكتور زغلول النجار: "ثبت أن كل نتوء أرضي فوق مستوي سطح البحر له امتداد في داخل الغلاف الصخري للأرض يتراوح

¹ - سورة النبأ - الآية 6 و 7.

² - القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج : 19 - ص: 171.

³ - ابن جزى - التسهيل - ج: 2 - ص: 286.

⁴ - السيد قطب - في ظلال القرآن - ج : 30 - ص : 3804 .

طوله بين 10 و 15 ضعف ارتفاعه، وكلما كان الارتفاع فوق مستوي سطح البحر كبيراً تضاعف طول الجزء الغائر في الأرض امتداداً إلى الداخل"¹ يذكر العلماء حقيقة أخرى عجيبة وهي: "أن أي ثقل على سطح الأرض يؤثر على دورانها وله دور في تحقيق توازنها كالجبال والبحار والهواء ، بل أن كل حدث تشهده الأرض فوق سطحها أو تحتها كان انتقال مادة من محل إلى آخر يكون له تأثير على سرعة دورانها"²؛ والجبال هنا هي الأوتاد التي تمنع قشرة الأرض من الميّدان أي الترنح والاهتزاز أثناء حركتها.

4- تحليل ومناقشة.

إن القاسم المشترك بين أقوال المفسرين وحقائق العلم الحديث يتمثل في الوظيفة الرئيسة للجبال وهي تثبيت الأرض بصفة عامة ، غير أن ما أثبتته العلم الحديث من نسبة طول الجزء الظاهر للجبل مقارنة بالمغروس منه في الأرض تأكيداً للإعجاز العلمي القرآني بوصف الجبال بأنها أوتاد فسبحان الذي وصفها من قبل ألف وأربعمائة سنة "بالأوتاد" وهي لفظة واحدة تصف كلا من الشكل الخارجي للجبل، وامتداده الداخلي ووظيفته، لأن الوتد أغلبه يدفن في الأرض، وأقله يظهر على السطح، ووظيفته التثبيت.

وقد تمكنت الآية القرآنية بلفظين "والجبال أوتادا" من اختزان معانٍ بيانية وعلمية عظيمة، ولا يزال معنى الآية مفتوحاً للأجيال اللاحقة يُستكشف منه إلى يوم القيامة، ويدر من كنوزه وهذا من إعجاز القرآن البياني.

خاتمة وآفاق البحث:

1 - زغلول النجار - المفهوم العلمي للجبال - ص: 18.

2 - عبد الجبار شاكر - القرآن يفك لغز الأرض - بغداد - مطبعة أسعد - ط.1 - 1985م - ص: 43 وينظر: فهد خليل زايد - الأعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم - الأردن - دار النفائس - ط.1 - 1428هـ - 2008م - ص: 83.

يمكن إجمال أهم نتائج هذه الدراسة فيما يلي:

منشأ الخلاف في قبول التفسير العلمي أو رده، هو الخلط بين مفهوم التفسير العلمي والإعجاز العلمي في كثير من الحالات.

التفسير العلمي للقرآن الكريم زاد كثيرا من الآيات الكونية وضوحا وبيانا بل وأعطى رؤية واضحة لمفهومها، ومن هنا تكمن أهميته في خدمة كتاب الله تعالى.

التفسير العلمي زاد من توسيع المعاني القرآنية التي تحتلها الآية الواحدة، حيث أضاف معان جديدة تحتلها الآيات الكونية بما يناسب ثقافة هذا العصر ومعارفه وأدوات علومه.

استفادة أهل التفسير العلمي من بعض المعاني للألفاظ التي ذكرها اللغويون، واستبعادها القدامى بسبب عدم معرفتهم بالحقيقة العلمية التي أشارت إليها كثير من الآيات القرآنية.

يمكن اعتبار التفسير العلمي المبني على حقائق قطعية يقينية قرينة للترجيح بين أقوال المفسرين الاجتهادية، ولوحظ هذا في البحث جليا في مسألة المراد بالبحرين في سورة الرحمن.

ويبقى الموضوع أرضا خصبة للدارسين وللباحثين، ومن آفاقه:

إيجاد أكاديمية للإعجاز العلمي لتخريج متخصصين، وغلق الباب على الأدعياء.

تبسيط حقائق الإعجاز العلمي، وإدخالها في المناهج التربوية لإعداد جيل يفهم آيات الآفاق والأنفس.

تكوين فريق مشترك من تخصصات مختلفة كل يخدم كتاب الله حسب تخصصه.

توظيف هذا النوع من التفسير للدعوة إلى الله خصوصا لغير المسلمين الذين يؤمنون بحقائق العلم.

فهرس المصادر والمراجع.

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1- أحمد ابن فارس ابن زكرياء : أبو الحسين - معجم مقاييس اللغة- ت: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر للطباعة والنشر- (د.ط)- - 1399هـ-1979م.
- 2- أحمد أبو حجر- التفسير العلمي في الميزان - بيروت- دار قتيبة- ط.1- 1411هـ-1991م.
- 3- أحمد جاد- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية- مصر- القاهرة- دار الغد الجديد- ط.1- 1430هـ-2009م.
- 4- أسعد محمود حومد - أيسر التفاسير- سوريا- دمشق- ط.4- 1419هـ-2009م- ج: 01 - ص: 1520.
- 5- إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي - تفسير القرآن العظيم - لبنان - بيروت- دار الفكر - 1401هـ.
- 6- الحسين بن مسعود أبو محمد البغوي - معالم التنزيل - ت: محمد النمر وعثمان جمعة وسليمان الحرش- دار طيبة- ط.4- 1417هـ-1997م.
- 7- أمين الخولي- التفسير نشأته ، تدرجه ، تطوره - بيروت- دار الكتاب اللبناني- ط.1- (د.ت).
- 8- زغلول النجار - تفسير الآيات الكونية- مكتبة الشروق الدولية- ط.1- 1428هـ-2007م.
- 9- زغلول النجار- السماء في القرآن الكريم- لبنان- دار المعرفة- ط.4- 1428هـ-2007م.
- 10- زغلول النجار- حقائق علمية في القرآن الكريم- بيروت- دار المعرفة- ط.4- 1429هـ-2008م.
- 11- زغلول راغب النجار- الأرض في القرآن- لبنان- دار المعرفة- ط.2- 1427هـ-2006م.
- 12- سليمان الطيار- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر- دار ابن الجوزي - ط.2- 1427هـ.
- 13- سليمان بن صالح القرعاوي- التفسير العلمي المعاصر وأثره في كشف الأعجاز العلمي للقرآن الكريم- الرياض- دار الحضارة للنشر والتوزيع- ط.1- 1425هـ-2004م.

- 14- عادل بن علي الشدي - التفسير العلمي للقرآن الكريم - الرياض - مدار الوطن للنشر - ط.1- 1431هـ - 2010م.
- 15- عبد الجبار شاكر - القرآن يفك لغز الأرض - بغداد - مطبعة أسعد - ط.1- 1985م.
- 16- عبد الله بن محمد بن جعفر: أبو الشيخ الأصفهاني - كتاب العظمة - ت رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري - الرياض - دار العاصمة - ط.1- 1408 هـ.
- 17- فخر الدين الرازي - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب - لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية - ط.1- 1421هـ - 2000م.
- 18- محمد الطاهر بن عاشور- تفسير التحرير والتنوير- تونس- الدار التونسية للنشر- (د.ط)- 1984م.
- 19- محمد بن أحمد أبو عبد الله القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ت: أحمد بن أحمد البردوني - مصر- القاهرة- دار الشعب- ط.2- 1372 هـ .
- 20- محمد بن جرير أبو جعفر الطبري - جامع البيان في تأويل آي القرآن - لبنان - بيروت- دار الفكر - 1405 هـ .
- 21- محمد بن محمد أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين - مكتبة كرياتا فوترا سماراغ - (د.ط)- (د.ت).
- 22- محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان- ت: فواز أحمد زمرلي- بيروت- دار الكتاب العربي- ط.1- 1415هـ- 1995م.
- 23- هند شلبي - التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق - تونس - 1406هـ - 1985م.

الرسائل الجامعية:

- عبد السلام حمدان اللوح- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم- غزة- دار الآفاق- ط.2- 1423هـ- 2002م.2- - عبد الله بن عبد الله الأهدل - التفسير العلمي للقرآن الكريم ، دراسة وتقويم- رسالة ماجستير- 1402

المجلات والدوريات:

- 1- محمد بن عبد الرحمن الشايع- التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين- مجلة الإمام محمد بن سعود- 1411هـ - 1991م- العدد 04.